جبران خليل جبران

رمل وزبد (٢)

و

الموسيقى



رملٌ وزبد

و

الموسيقى

رابع كتاب وضعه بالانكليزية

جبران خليل جبران

عربه الارشمندريت انطونيوس بشير

كتابان في كتاب واحد

بيروت - لبنان

الى التي تحدق الى الشمس
باجفان جامدة ، وتقبض
على النار باصـــابع غير
مرتعشة ، وتسمع نغمة
الروح « الكلي » من وراء
ضجيج العميان وصراخهم
الى M. E. H, ارفع
هذا الكتاب .

جبران

« انا متطرف ، لأن من يعتدل
باظهار الحق يبين نصف الحق ،
ويبقى نصفه الآخر محجوباً وراء
خوفه من ظنون الناس وتقولاتهم ».

جبران

كلمة المترجم

•

زرت الصديق جبران منذ اسبوع في مكتبه ، وان شئت فقل صومعته ، في مدينة نيويورك ، بعد غياب سنتين كاملتين قضيتها في الجهات الغربية من امريكا الشمالية ، وبعد التحية والسلام سألته قائلاً .

« انني من المؤمنين » ، « بالميلاد الثاني » ، وقد قال « النبي » :

« قليلاً ولا تروني وقليلاً وتروني ،

لأن امرأة أخرى ستلدني [1] . »

فهل ولد هذا النبي المحبوب ثانية ؟ ومتى ؟ وأين ؟ وماذا دعي اسمه ؟

فأجاب وقال : « لقد ولد منذ اسبوع ، ودعي اسمه (رمل وزبد) وها هو يمثل بين يديك » .

---

(١) راجع كتاب النبي .

قال هذا ودفع إليّ كتابه الانكليزي الرابع ، الذي سماه « رمل وزبد » ، وأودعه أفكاره منثورة بالآيات والحكم .

وقد بادرت في الحال إلى ترجمته ليكون حلقة رابعة في السلسلة التي أولها « المجنون » ، وثانيها « السابق » ، وثالثها « النبي » .

وقد تلطف المؤلف الأديب فاختص هذه الترجمة بكلمة وأنشودة يراهما القارىء الكريم في صدر هذا الكتاب بعد هذه الكلمة .

ولا بد لي في هذا المقام ان أعيد ما سبقت فقلته في مقدمة « النبي» من الملاحظات التالية :

(١) جبران يصور فكره قبل ان يعبر عنه بالالفاظ لأنه من نوابغ المصورين الفنانين ، لذلك فليمن القارىء بدرس صورة كل فكر من أفكار المؤلف قبل ان يدرس الألفاظ التي تعبر عنها .

(٢) جبران مفكر عميق وشاعر غير مخير في شاعريته ، فكل عبارة تخرج من فمه تملؤها الشعر والفكر ، فاذا لم تشاطر جبران شعوره ، وتصبغ فكرك بصبغة فكره ، فعبثا تحاول ان ترافقه في سياحاته .

(٣) وضعت في ترجمة «النبي» العربية الرسوم الاثني عشر التي رسمها المؤلف للأصل الانكليزي . وأضع الآن في هذا الكتاب الجديد من الرسوم السبعة التي يكفي لوضعها أنها من ريشة جبران . ومع ان هذا النوع من التصدير الرمزي جديد

في العالم العربي فإنه أجمل ما تزين به المتاحف ودور العلم وبيوت العبادة في العالم الغربي . لذلك فلينظر القارىء الى الحقيقة التي يرمز اليها كل رسم من هذه الرسوم قبل ان يقصر نظره على الرسم نفسه .

(٤) ليس هذا الكتاب رواية أو قصة يكفي ان يمر بها القارىء ليدرك فحواها ويفهم الحقيقة المنطوية عليها ، ولكنه مجموعة آيات وحكم في فن وفلسفة وشعر وجمال ، فلا تترك عبارة من عباراته قبل أن تقف على الحقيقة التي وراءها ، وتتفهم العقيدة الجديدة التي تحملها إليك . فان جاءت مثبتة لما لديك فاقتبلها واحتفظ بها وان جاءت غريبة عما عرفته وألفته ، فلا ترفضها ، بل ضعها في دائرة من ذاكرتك ثم عد اليها بعد حين ، متذكراً ان الذين اضطهدوا غاليلو واحتقروا آراءه الغريبة ما كانوا ليضطهدوه لو عاد وعادوا الى الحياة اليوم !

ديسمبر سنة ١٩٢٦

الارشمندريت انطونيوس بشير

كلمة المؤلف

•

ليس هذا الكتاب الصغير بأكثر من اسمه « رمل وزبد » حفنة من الرمل وقبضة من الزبد .

وبالرغم مما القيت بين حباته من حبات قلبي ، وبالرغم مما سكبت على زبده من عصارة روحي ، فهو الآن ، وسيبقى ابداً أقرب الى الشاطىء منـــه الى البحر ، وأدنى الى الشوق المحدود منه الى اللقاء الذي لا يحده البيان .

بين جانحي كل رجل وكل امرأة قليل من الرمل وقليل من الزبد ولكن بعضنا يبين ما بين جانحيه وبعضنا يخجل .

اما انا فلم اخجل . فاعذروني وسامحوني .

نيويورك في ديسمبر سنة ١٩٢٦

جبران خليل جبران

انشودة الكتاب

•

ماذا تقول الساقية ... ؟

سرت في الوادي وقد جاء الصباح معلناً سر وجود لا يزول
فــاذا ساقيــة بين البطـــاح تتغنى وتنادي وتقول :—

ما الحياة ، بالهناء ؟
انمــا العيش نزوع ومرام .
ما الممات ، بالفناء ؟
انمــا الموت قنوط وسقام
ما الحكيم بالكلام ؟
بل بسر ينطوي تحت الكلام .
ما العظيم بالمقام ؟
انما المجد لمن يأبى المقام .
ما النبيل ، بالجدود .
كم نبيل كان من قتلى الجدود .
ما الذليل ، بالقيود ؟

قد يكون القيد أسنى من عقود

ما النعيم ، بالثواب ؟

انما الجنـــة بالقلب السليم

ما الجحيم ، بالعذاب ؟

انما القلب الخلي كل الجحيم .

ما العقار ، بالنضار ؟

كم شريد كان أغنى الاغنياء .

ما الفقير ، بالحقير ؟

ثروة الدنيا رغيف ورداء .

ما الجمال بالوجوه ؟

إنما الحسن شعاع للقلوب .

ما الكمال ، للنزيه ؟

رب فضل كان في بعض الذنوب

•

ذاك مـــا قالته تلك الساقيه لصخور عن يمـــين ويسار

رب مـــا قالته تلك الساقيه كان من أسرار هاتيك البحار

رمل وزبد

●

علـــى هذه الشواطىء ، أتمشى أبدا ،
بين الرمل والزبد .
ان المـــد سيمحو آثار قدمي .
وستذهب الريح بالزبد .
أما البحر والشاطىء فيظلان الى الابد .
ملأت يدي مرة بالضباب .
ثم فتحتها ، فاذا بالضباب قـد صار دودة .
وأغلقت يدي وفتحتها ثانية ، فاذا هنالك عصفور .
ثم أغلقت يدي وفتحتها للمرة الثالثة ، فـاذا في راحتها رجل حزين الوجـه ينظر الى العلاء .
وأغلقت يدي رابعة ، وعندما فتحتها لم أر فيها غـــير الضباب
ولكنني سمعت أغنية بالغة الحلاوة .
خيل إلي في الامس اني ذرة تتموج مرتجفة في دائرة الحياة بغير انتظام ،

واليوم أعرف كل المعرفة أني أنا الدائرة ، وأن الحياة بأسرها تتحرك في بذرات منتظمة .

يقولون في يقظتهم .

« ما أنت والعالم الذي تعيش فيه سوى حبة رمـــل على شاطىء غير متناه ، لبحر غير متناه . »

وفي حلمي أقول لهم :

« أنا هو البحر غير المتناهي ، ومـا جميــع العوالم سوى حبات من الرمل على شاطىء »

ما عييت الا ، امام من سألني ، « من أنت ؟ »

فكر الله ، فكان فكره الاول ملاكاً ،

وتكلم الله ، فكانت كلمته الأولى انساناً ،

كان الانسان مخلوقاً هائماً ينشد ذاته للضالة في الاحراج قبل ان منحه البحر والريح كلماته بألف ألف سنة .

فكيف يستطيع والحالة هذه ان يعبر عن العتيق من الايام فيــه بأصوات حقيرة لم يتعلمها الا في الامس القريب ؟

تكلم ابو الهول مرة واحدة في حياته . واليك ما قاله :

« حبة الرمل صحراء . والصحراء حبة رمل ».

قال هذا وسكت ثانية ولم يفتح فـــاه .

قد سمعت ما قاله ابو الهول ، بيد انني لم افهم .

رأيت وجه امرأة ، فرأيت اولادها ولم يولدوا بعـــد ، ونظرت امرأة الى وجهي ، فعرفت آبائي وجدودي ؟ وقــد مــاتوا قبل ان تولد .

أود الآن لا يتاح لي أن أكمل ذاتي. ولكن انى لي ذلك اذا لم اتحول الى سيادة يعيش عليها العاقلون من الاحياء ؟

اليست هذه ضالة كل انسان على الارض ؟

اللؤلؤة هيكل بناء الالم حول حبة رمـــل .

فما هو الحنين الذي بنى اجـادنا ؟ وما هي الحبوب التي بنيت حولها ؟

عندما رماني الله ، حصاة صغيرة في هذه البحيرة العجيبة، أزعجت هدوءها بـــأن أحدثت على سطحها دوائر لا يحصى عديدها .

ولكنني عندما بلغت الى أعماقها صرت هادئاً مثلها . اعطني الصمت اقتحم غمرات الليل ،

قد ولدت ثانية عندما وقع جسدي بحب نفسي وتزوجا معاً .

عرفت في حياتي رجلا حاد السمع ولكنه ابكم ، فقد خسر لسانه في معركة وأنا اعرف اليوم الحروب التي حـار بها هذا الرجل قبل ان حـــل به قضاء الصمت الرهيب ، ويسرني جداً انه قد مات .

لان العالم على سعته لا يكفي لنا معاً .

طويلا نمت في أرض مصر ، صامتاً غافلا عـن الفصول .

ثم ولدتني الشمس ، فوقفت ومشيت على حافتي النيل ، مترنماً مع الايام ، حالماً مع الليالي .

والآن تمشي الشمس على بألف قدم لكي أنام ثانية في أرض مصر .

ولكن هوذا الاعجوبة والاحجية !

فان الشمس نفسها التي جمعتني لا تستطيع أن تفرقني . لذلك ما برحت منتصباً أمشي بخطى ثابتة على حافتي النيل .

التذكار شكل من أشكال اللقاء .

النسيان شكل من أشكال الحرية .

نحن نقيس الزمان بمقتضى حركة الشموس التي لا تحصى ، وهم يقيسون الزمان بآلات صغيرة يحملونها في جيوبهم .

فقل لي رعاك الله كيف يمكن أن نجتمع معاً في مكان واحد وفي وقت واحد ،

ليس الفضاء فضاء بين الارض والشمس لمن ينظر اليه من نوافذ المجرة .

الانسانية نهر من النور يسير من أودية الازل الى بحر الابد.

ألا تحسد الارواح القاطنة في الاثير الانسان على كآبته

في طريقي الى المدينة المقدسة لقيت حاجاً آخر ، فسألته قائلاً : « أهذه حقيقة الطريق الى المدينة المقدسة ؟ »

فأجابني قائلاً : « هلم ورائي تصل الى المدينة المقدسة في يوم وليلة » .

فتبعته للحال . وسرنا أياماً وسرنا ليالي ولكننا لم نبلغ الى المدينة المقدسة .

وشد ما كانت دهشتي عظيمة إذ عرفت انه غضب لانه لم يسر بي في الصراط المستقيم .

اجعلني يا الله فريسة الاسد قبل ان تجعل الأرنب فريستي .

قال لي منزلي : « لا تهجرني لان ماضيك يقطن فيّ »

وقالت لي الطريق : « هلم ورائي ، فأنا مستقبلك » .

أما أنا فأقول لمنزلي وللطريق معاً : « ليس لي ماض ولا مستقبل » .

فاذا قمت هنا ففي اقامتي ذهاب ، واذا ذهبت فهنالك اقامة في ذهابي .

« فان المحبة والموت وحدهما يغيران كل شيء »

كيف أخسر ايماني بعدل الحياة وأنا أعرف أن أحلام الذين ينامون على الريش ليست أجمل من أحلام الذين ينامون على الارض

ما أغربني عندما أشكو ألماً فيه لذتي .

سبع مرات احتقرت نفسي .

اولاً : عندما رأيتها تتلبس بالضعة لتبلغ الى الرفعة .

ثانياً : عندما رأيتها تقفز أمام المخلصين.

ثالثاً : عندما خيرت بين السهل والصعب فاختارت السهل ،

رابعاً عندما اقترفت إثماً ثم جاءت تعزي ذاتها بأن غيرها يقترف الاثم مثلها .

خامساً : عندما احتملت ما حل بها لضعفها ، ولكنها نسبت صبرها للقوة .

سادساً : عندما احتقرت بشاعة وجه ما هو عند التحقيق سوى برقع من براقعها .

سابعاً : عندما أنشدت أغنية ثناء ومديح ، وحسبتها فضيلة .

أنا لا أعرف الحقيقة المجردة . ولكني أركع متضعاً أمام جهلي وفي هذا فخري واجري .

بين خيال الانسان وادراكه مسافة لا يجتازها سوى حنينه .

الفردوس قائم هناك ، وراء ذلك الباب ، في الغرفة المجاورة ، ولكني اضعت مفتاح الباب .

ولعلي لم اضعه بل وضعته في غير موضعه .

ولولا بياض بعضنا لكان السواد أعمى

اعطني اذناً اعطك صوتاً .

انت أعمى وأنا أصم أبكم ، اذن ضع يدك بيدي فيدرك أحدنا الآخر .

ليست قيمة الانسان بما يبلغ اليه . بل بما يتوق للبلوغ اليه .

بعضنا كالحبر وبعضنا كالورق .

فلولا سواد بعضنا لكان البياض أصما
ولولا بياض بعضنا لكان السواد أعمى

أعطني اذناً اعطك صوتاً .

العقل اسفنجة ، والقلب جدول .

أفليس بالغريب ان اكثرنا يؤثرون الامتصاص على الانطلاق ؟ .

اذا تقت الى البركات التي لا تعرف لها اسماً ،

واذا حزنت وأنت لا تعرف سبباً لحزنك ،

فأنت حينئذ تنمو بالحقيقة مع جميع الناميات ، وترتفع متسامياً إلى ذاتك العظمى ،

إذا سكر الانسان برأي حسب أضعف تعبير عنه خمرة طيبة .

أنتم تشربون الخمر لتسكروا وأنا أشربها لأصحو من خمرة غيرها .

إذا أفرغت كأسي رضيت بفراغها ، واذا لم يكن فيها سوى نصفها اعترضت على نصف امتلائها .

ليست حقيقة الانسان في ما يظهره لك ، بل بما لا يستطيع ان يظهره .

لذلك اذا أردت ان تعرفه ، فلاتصغ الى ما يقوله بل الى ما لا يقوله .

نصف ما أقوله لك لا معنى له ، ولكني أقوله ليتم معنى النصف الآخر .

تعرف الفكاهة اذا عرفت اغتنام الفرص السانحة .

لم أشعر بألم الوحشة حين مدح الناس عيوبي الثرثارة ، وطعنوا في عيوبي الخرساء .

عندما لا تجد الحياة مغنياً يتغنى بقلبها ، تلد فيلسوفاً يتكلم بعقلها .

يجب ان تعرف الحقيقة أبداً ، وتقولها بعض المرات .

الحقيقي فينا صامت ، ولكن الاكتسابي ثرثار .

لايستطيع صوت الحياة الذي فيّ ان يصل الى اذن الحياة التي فيك ولكن فلنتكلم على كل حال لئلا نشعر بوحشة الانفراد .

اذا تكلمت امرأتان فهما لا تعلنان شيئاً .

واذا تكلمت امرأة واحدة فانها تعلن الحياة كلها .

قد يكون للضفادع أصوات اعلى من اصوات البقر .

ولكن الضفادع لا تستطيع أن تجر السكة في الحقل، ولا ان تدير دولاب المعصرة ، ولا يمكن ان تصنع من جلودها احذية .

لا يحسد الثرثار إلا الاصم .

إذا قال الشتاء : « إن الربيع في قلبي » ، فمن ذا يصدق الشتاء ؟

في كل بزرة حنين .

افتح عينيك جيداً وانظر ، تجد صورتك في كل الصور .

وافتح اذنيك جيدا واصغ ، تسمع صوتك في كل الاصوات .

يحتاج الحق الى رجلين: الواحد لينطق به والاخر ليفهمه.

مع ان امواج الالفاظ تغمرنا ابداً،فأن عمقنا صامت ابداً.

كثيراً من المذاهب كزجاج النافذة، نرى الحقيقة منخلالها ولكنها تفصلنا عن الحقيقة .

نحن مختبئون وراء جدران ادعائنا ، يفتش بعضنا عن بعض فأذا اختبأت في قلبي فليس بالصعب عليّ أن اجدك ولكن إذا اختبأت وراء صدفتك، فحينئذ عبثاً يحاول الناس إن يهتدوا اليك .

تستطيع المرأة أن تقنع وجهها بابتسامة .

ما انبل القلب الحزين الذي لا يمنعه حزنه عن ان ينشد أغنية مع القلوب الفرحة .

ما اشبه الراغب في فهم المرأة ، أو تحليل العبقرية ، او حل سر الصمت ، بذلك الرجل الذي يفيق من حلم جميل ليأكل طعام الصباح .

سأمشي مع جميع الماشين ، ولن أقف بلا حراك لأراقب موكب العابرين بي .

انت مدين لمن يخدمك بما هو أثمن من الذهب فاعطه من قلبك او فاخدمه .

ألا اننا لم نعش عبثاً . أفلم يبنوا الابراج من عظامنا ؟

تكثر التحقيق ولا تبالغ في التدقيق . فأن فكر الشاعر وذنب العقرب يرجعان في مجدهما الى الأرض الواحدة .

كل تنين يولد مار جرجس يقتله .

الاشجار أشعار تكتبها الارض على السماء . ونحن نقطعها ونصنع الورق منها لندون فيه فراغنا وبلادتنا .

اذا وجدت في نفسك ميلاً للكتابة (ولا يعلم سر هـذا الميل الا القديسون) فلتكن فيك المعرفة ، والفن ، والسحر ، معرفة موسيقى الالفاظ ، وفن البساطة والسذاجة ، وسحر محبة قرائك .

يغمسون أقلامهم في دماء قلوبنا ثم يدعون الوحي والالهام

لو استطاعت الشجرة ان تدون ترجمة حياتها لما اختلفت ترجمتها عن تاريخ أية أمة من الامم .

لو خيرت بين القوة على كتابة الشعر وما في الشعر غـير المكتوب من الهيام لاخترت الهيام ، فهو خير من الشعر.

ولكنك وجميع جيراني ومعارفي واثقون ابداً بجهلي وبأني اختار الرديء دون الصالح .

ليس الشعر رأياً تعبر الالفاظ عنه ، بـل هـو انشودة تتصاعد من جرح دام أو من فم باسم .

الالفاظ لا تتقيد بقيود الزمان فيجدر بك اذا تكلمت او كتبت ان تضع هذه الحقيقة نصب عينيك .

الشاعر ملك خلع عن عرشه فجلس بين رماد قصره يعمل في صنع صورة من الرماد .

انما الشعر كثير من الفرح والالم والدهشة مـع قليل من القاموس . عبثاً يحاول الشاعر ان يهتدي الى أم أناشيد قلبه .

قلت مرة لشاعر : « اننا لا نعرف قيمتك حتى تموت » .

فأجاب قائلاً : « أجل ، ان الموت يسدل النقاب عن وجه الحقيقة ابداً واذا كنتم بالحقيقة تودون ان تعرفوا قيمتي عن طريق الموت فما ذلك لان في قلبي اكثر مما على لساني ، وفي رغباتي اكثر مما في يدي . »

اذا ترغبت بأناشيد الجمال تجد من يصغي لانشادك ولو كنت في قلب الصحراء .

الشعر حكمة تسحر القلب .

والحكمة شعر يترنم بأناشيد الفكر .

ولو استطعنا ان نسحر قلب الانسان ونترنم في الوقت نفسه بأناشيد فكره ، لقدر اذ ذاك ان يعيش في ظل الله .

الوحي ينشد أبداً ، الوحي لا يفسر البتة .

كثيراً ما نغني لأولادنا لننام نحن انفسنا .

جميع كلماتنا فتات تتساقط عن مائدة الفكر .

التفكير عقبة دائمة في سبيل الشعر .

انما المنشد العظيم ذلك الذي يترنم بأناشيد صمتنا .

كيف تستطيع ان تغني اذا كان فمك ممتلئاً طعاماً ؟

وكيف ترتفع يدك بالبركة اذا كانت ممتلئة ذهباً .

يقولون ان البلبل ينخز صدره بمنخز عندما يغني أغنية محبته .

ونحن جميعاً مثله . اذ بغير هذا كيف نستطيع ان نغني ؟

العبقرية انشودة طائر في بدء ربيع متأخر .

ان الروح المجنحة نفسها لا تستطيع ان تتخلص من الحاجات الطبيعية. الجنون موسيقي مثلك ومثلي ولكن الآلة التي يضرب عليها لا تخرج الحاناً .

الانشودة الكامنة في صمت قلب الأم تتردد على شفتي طفلها .

ليس في العالم شهوة لا تتحقق .

لم أتفق قط مع ذاتي الثانية كل الاتفاق . ويلوح لي ان سر القضية كائن بيني وبينها .

ان ذاتك الثانيّة حزينة من أجلك ابداً ، ولكن ذاتك الثانية تعيش وتنمو على الحزن . ولذلك فان حزنها يؤول الى فرح .

لا قتال بين النفس والجسد الا في أفكار الذين نفوسهم هاجعة واجسادهم خانعة .

اذا بلغت الى قلب الحياة تجد الجمال في كل شيء ، حتى في العيون المتعامية عن الجمال .

الجمال ضالتنا المنشودة في حياتنا كلها ، وكل ما سوى ذلك أشكال من الانتظار .

أبذر بذرة تنبت لك الأرض زهرة ، أنشد أحلامك في السماء تعطك السماء من تحبه نفسك .

مات الشيطان يوم ميلادك .

فليس عليك الآن ان تجتاز الجحيم لكي تجد ملاكاً .

ما اكثر النساء اللواتي يستعرن قلب الرجل .

ولكن ما أقل اللواتي يستطعن الاحتفاظ به .

اذا شئت ان تملك شيئا فلا تدعه لنفسك .

عندما يلمس الرجل بيده يد امرأة يلمس كلاهما قلب الأبدية .

المحبة قناع بين محب ومحب .

كل رجل يحب امرأتين ، واحدة يخلقها خياله ، والثانية لم تولد بعد .

الرجل الذي لا يغتفر للمرأة هفواتها الصغيرة لن يتمتع بفضائلها الكبيرة .

الحب الذي لا يتجدد في كل يوم وليلة يتحول الى شكل من قوة الاستمرار وهذه في وقتها لا تلبث أن تنقلب عبودية .

يعانق المحبان ما بينهما اكثر مما يعانق أحدهما الآخر .

المحبة والشك لا يجتمعان .

المحبة كلمة من نور ، كتبتها يد من نور ، على صحيفة من نور .

الصداقة مسؤولية لذيذة ابداً وليست الصداقة فرصة للنفعيين .

اذا كنت لاتفهم صديقك في جميع الظروف فأنت لا ولن تفهمه .

إن أجمل أثوابك قد نسج في نول ذاتك الأخرى .

وأطيب مآكلك تتناولها على مائدة ذاتك الأخرى .

وأفضل سرير لراحتك هو في بيت ذاتك الأخرى .

فقل لي بربك كيف تستطيـع أن تفصل نفسك عن ذاتك الأخرى ؟

لن يتفق فكرك وقلبي حتى ينقطع فكرك عن أن يعيش بالأرقام ويقف قلبي عن الحياة بالأحلام .

لن نفهم بعضنا بعضاً حتى نحوّل اللغة إلى سبع كلمات .

كيف تفض ختوم قلبي إذا لم ينسحق ؟

لا يظهر الحق الذي فيك إلا الألم العظيم أو الفرح العظيم . فإذا شئت أن تعلن حقيقة ذاتك وجب عليك إما ان ترقص عارياً في الشمس أو أن تحمل صليبك .

لو أصغت الطبيعة إلى مواعظنا في القناعة لما جرى فيها نهر إلى البحر ، ولما تحول شتاء إلى ربيـع .

ولو أصغت إلى كل نصائحنا في وجوب الاقتصاد ، فـكم كان بيننا الذين يتنشقون هذا الهواء ؟

انك لا ترى سوى ظلك وأنت تدير ظهرك للشمس .

أنت حر أمام شمس النهار .

وأنت حر أمام قمر الليل وكواكبه .

وأنت حر حيث لا شمس ولا قمر ولا كواكب .

بل أنت حر عندما تغمض عينيك عن الكيان بكليته .

ولكن أنت عبد لمن تحب لأنك تحبه .

وأنت عبد لمن يحبك لأنه يحبك .

جميعنا متسولون نقف على بوابة الهيكل . وكل منا ينال قسطه من عطية الملك وهو يدخل إلى الهيكل ويخرج منه .

ولكننا جميعاً نحسد بعضنا بعضاً ، فنظهر بذلك تصغيرنا للملك .

انك لا تستطيع أن تأكل أكثر من حاجتك، فإن نصف الرغيف الذي لا تأكله يخص الشخص الآخر ، ويجب أن تحفظ غيره قليلاً من الخبز لضيف قد يمر بك على غير انتظار .

لولا الضيوف لكانت البيوت قبوراً .

قال ذئب مضياف لحمل مسكين : « هل تريد أن تشرف منزلنا بزيارة ؟ »

فأجابه الحمل : كم كان فخري بزيارتك عظيماً لو لم يكن منزلك في معدتك » .

أوقفت ضيفي على عتبة بابي وقلت له : « بربك لا تمسح قدميك وأنت تدخل ، بل امسحها وأنت تخرج » .

ليس السخاء بأن تعطيني ما أنا في حاجة اليه اكثر منك ، بل السخاء في ان تعطيني ما تحتاج اليه أكثر مني .

أنت رحوم اذا اعطيت ، ولكن لا تنس وانت تعطي ان تدير وجهك عمن تعطيه ، لكي لا ترى حياءه عارياً امام عينيك .

الفرق بين أغنى الأغنياء وافقر الفقراء يوم جوع وساعة عطش .

نستدين في الغالب من غدنا لكي ندفع ديون أمسنا .

كثيراً ما تزورني الملائكة والشياطين ، ولكنني أتخلص منهم .

فاذا كان الزائر ملاكاً فإنني اصلي صلاة قديمة فيملها ويترك منزلي .

واذا كان شيطاناً فإنني ارتكب امامه خطيئة قديمة فيمر بي مجتازاً .

ليس هذا بالسجن الرديء على كل حال ، ولكنني لا أحب هذا الجدار الذي يفصلني عن السجين في الغرفة الثانية .

على انني اؤكد لك انني لا أريد ان اقرب من السجان ولا من الذي بنى السجن .

ان الذين يعطونك حية وأنت تسألهم سمكة ربما ليس لديهم ما يعطونه غير الحيات . ولذلك يحسب عملهم اريحية وسخاء .

ينجح الخداع حيناً ، ولكنه يسير ابداً الى الانتحار .

انت بالحقيقة صفوح غفور : اذا كنت تصفح عن القتلة الذين لم يسفكوا دماً ، واللصوص الذين لم يسرقوا ، والمنافقين الذين لم يكذبوا .

ان الذي يستطيع أن يضع اصبعه على الخط الفاصل بين الخير والشر يستطيع بالحقيقة ان يلامس هدب ثوب الله .

إذا كان قلبك بركاناً فكيف تتوقع ان تزهو الأزهار في يديك .

أليس غريباً انني كثيراً ما احب ان يخدعني الناس ويغشوني لكي اضحك على حساب الذين يفكرون انني لا اعرف انهم يخدعونني .

ماذا اقول في المطارِد الذي يمثل دور المطارد ؟

اعط ثوبك لمن يمسح يديه الوسختين به ، لانه ربما يحتاج اليه ، اما أنت فلا تحتاج اليه .

ويا للاسف الشديد كيف ان الصيرفي لا يستطيع ان يكون بستانيا .

بربك لا تغطي هفواتك الاصلية بفضائلك الاكتسابية فأنا أتمسك بهفواتي الصغيرة فهي ملك خاص بي

كم من مرة عزوت لنفسي جرائم لم ارتكبها قط لئلا اظهر أرفع ممن يجالسني من المجرمين .

ان براقع الحياة نفسها هي براقع لسر أعمق من الحياة .

تستطيع ان تدين الآخرين بحسب معرفتك لذاتك.فهل لك أن تقول لي : من هو المجرم ومن هو البريء .

ان البار بالحقيقة هو ذلك الذي يشعر بأنه سبب لنصف الجرم الذي اجرمته انت .

لا يكسر الشرائع البشرية إلا اثنان : المجنون والعبقري وهما اقرب الناس الى قلب الله .

مطاردة بعضهم وهبت قدماي السرعة .

ليس لي اعداء يا رب ، ولكن اذا كان لا بد من وجود عدو لي ؛ فاجعل يارب قوته مضارعة لقوتي، لكي لا تكون الغلبة إلا للحق .

ستكون على ولاء تام من عدوك بعد موتكما .

كثيراً ما ينتحر الانسان في الدفاع عن نفسه .

عاش في قديم الزمان رجل صلبه الناس لانه كان يحب كثيراً وكان يحبه الناس كثيراً .

ولعلك تدهش إذ أخبرك انني رأيته ثلاث مرات في الامس القريب .

ففي المرة الأولى رأيته يسأل الشرطي ان لا يأخذ زانية إلى السجن .

وفي المرة الثانية رأيته يشرب الخمرة مع أحد السكيرين ،

وفي المرة الثالثة رأيته يصارع رجلاً أراد أن يتخذ الكنيسة وسيلة للاعلان والتذييع .

اذا كان كل ما يقولونه في الخير والشر حقيقيا فان حياتي كلها سلسلة من الجرائم .

ليست الرحمة سوى نصف العدالة .

ما ظلمني إلا الذي ظلمت اخاه .

اذا رأيت رجلاً يقاد الى السجن فقل في قلبك : « لعله يهرب من سجن اضيق واظلم من السجن الذي يسير اليه » :

واذا رأيت سكيراً فقل في قلبك : « من يدري إذا كان هذا الرجل لم يسكر إلا لكي يتخلص مما هو شر من السكر ؟ » .

كثيراً ما حملني الدفاع عن النفس الى البغضاء ، ولكن لو كنت أوفر قوة لما لجأت الى هذه الوسيلة .

ما أبلد من يرفع نظرات البغض في عينيه بخرق ابتسامة في شفتيه .

لا يحسدني ولا يبغضني الا الذين دوني .

ولكن لم يحسدني ولم يبغضني احد قط ، فأنا اذن لست دون احد .

ولا يمدحني ولا يصغرني إلا الذين فوقي .

ولكن لم يمدحني ولم يصغرني أحد قط ، فأنا إذن لست فوق أحد .

قولك انك لا تفهمني مديح لا استحقه أنا ، واهانة لا تستحقها أنت .

ما أحقرني عندما تعطيني الحياة ذهباً فأعطيك فضة ثم احسبني سخياً جواداً .

عندما تبلغ إلى قلب الحياة تجد انك لست أرفع من المجرمين ، ولا أدنى من الأنبياء .

غريب انك تقتصر شفقتك على بطيء القدمين دون بطيء الفكر ، وأعمى العينين دون أعمى القلب .

تقضي الحكمة على الأعرج الا يكسر عكازه على رأس عدوه .

ما أعمى الذي يعطيك من جيبه ليأخذ من قلبك .

الحياة موكب عظيم . ينظر اليه بطيء الخطى فيحسبه سريعاً جداً ولذلك يهرب منه . وينظر اليه سريع الخطى فيحسبه بطيئاً ويهرب منه .

إذا كان لا بد من وجود الخطيئة فان فريقاً منا يرتكبونها بالتفاتهم إلى الوراء لاقتفاء خطوات آبائنا وجدودنا .

ويقترفها الفريق الآخر بتحديقهم إلى الأمام للمبالغة في السيادة على أبنائنا .

الصالح هـــو ذلك الذي لا يفصل ذاته عن جميع الذين يحسبهم العالم أشراراً .

جميعنا سجناء ، ولكن بعضنا في سجون ذات نوافـــذ وبعضنا في سجون بدون نوافذ .

عجيب غريب أننا ندافع عن خطئنا بأكثر قوة مما ندافع عن صوابنا .

لو اعترفنا بعضنا لبعض بخطايانا لضحكنا جميعاً بعضنا على بعض لشدة فقرنا إلى الابتكار . ولو أظهرنا جميعنا فضائلنـــا بعضنا لبعض لأغربنا من الضحك للسبب بعينه .

يظل الفرد فوق الشرائع البشرية حتى يقترف إثمـــاً ضد المجامع البشرية وبعد ذلك لا يكون فوق أحد ولا دون أحد.

الحكومة اتفاق بينك وبيني ، وأنت وأنا في الغالب على ضلال .

الجريمة اسم من أسماء الحاجة أو مظهر من مظاهر المرض .

أفهل هنالك خطأ أعظم من الشعور بخطأ الآخرين ؟

إذا ضحك امرؤ منك تستطيع أن تشفق عليه . ولكن إذا ضحكت عليه فأنت ربما لا تستطيع أن تصفح عن نفسك.

وإذا أساء امرؤ اليك فأنت تقدر أن تنسى الاساءة ، ولكن إذا أسأت اليه فأنت ذاكر إساءتك أبداً .

لذلك ثق بان هذا الشخص الثاني هو ذاتك الأكثر إحساساً

ولكن في جسد غير جسدك .

ما أحمقك وأنت تطلب من الناس أن يطيروا بجناحيك ولكنك لا تقدر أن تعطيهم ريشة ؟

جلس رجل مرة إلى مائدتي فأكل خبزي وشرب خمرتي وذهب ضاحكاً مني .

ثم جاءني بعدئذ يطلب خبزاً وخمراً ، فرددته خائباً ، فضحكت الملائكة مني .

البغض جثة راقدة . فمن منكم يريد أن يكون قبراً .

حسب القتيل فخراً انه ليس بالقاتل .

منبر الانسانية قلبها الصامت لا عقلها الثرثار .

يحسبونني مجنوناً لأنني لا أبيع أيامي بدنانيرهم .

يبسطون أمامنا ثروتهم من الذهب والفضة ، ونبسط أمامهم القلوب والأرواح ومع ذلك يحسبون نفسهم المضيفين ويحسبوننا الأضياف .

أحب أن أكون الأصغر بين ذوي الأحلام ، الراغبين في تحقيق أحلامهم . ولا أكون الأعظم بين من لا أحلام ولا رغبات لهم .

أدعى الناس إلى الشفقة ذلك الذي يحول أحلامه إلى الفضة والذهب .

جميعنا نتسلق المرتفعات للبلوغ إلى قنة رغبات قلوبنا ، فإذا سرق المتسلق إلى جانبك جرابك وكيسك فسمن بالأول وازداد ثقله بالثاني فخذه بحلمك واشفق عليه : لأن السمن

يجعل الصعود صعباً عليه ، والثقل الذي أضافه إلى أحماله يطيل الطريق أمامه ، فإذا رأيته وأنت في نحافتك وهزالك ، بطيئاً رازحاً تحت حمله فلا تتأخر عن مساعدته لأن ذلك يزيد في سرعتك .

لا تستطيع أن تحكم على رجل أكثر مما تعرف عنه وما أحقر معرفتك .

لا أحب أن أصغي إلى غازٍ يعظ الذين فتح بلادهم .

الحر الحقيقي هو الذي يحمل أثقال العبد المقيد بصبر وشكر .

منذ الف سنة قال لي جاري : إنني أكره الحياة لأنه ليس فيها سوى الألم ، وقد مررت في الأمس بالمقبرة فرأيت الحياة ترقص على قبره .

ليس الجهاد في الطبيعة سوى شوق عدم النظام إلى النظام.

الوحدة عاصفة صماء تحطم جميع الأغصان اليابسة في شجرة حياتنا ، ولكنها تزيد جذورنا الحية ثباتاً في القلب الحي للارض الحية .

حدثت مستنقعة عن البحر فحسبتني خيالياً يبالغ ، وحدثت البحر عن المستنقعة فظنني مفترياً يهجو .

ما أضيق عيش من يؤثر اجتهاد النمل على انشاد الجنادب.

قد تكون اسمى الفضائل في هذا العالم ادناه في العالم الثاني.

العميق والعالي ينزلان الى الاعماق او يصعدان الى الاعالي، ولا يتحرك في الدوائر الا الفسيح الرحيب .

لولا مقاييسنا واوزاننا المجددة لتهيبنا امام الحباحب مثلما نتهيب امام الشموس .

العالم بدون خيال جزار تعطلت سكاكينه وموازينه .

ولكن ماذا نعمل . نحـــن لا نستطيع ان نكون نباتيين باجمعنا ؟

اذا غنيت للجائع سمعك بمعدته .

ليس الموت بأقرب من الشيخ منـه الى الطفل الرضيـع ، والحياة كالموت .

اذا اردت ان تكـون مخلصـاً فكن مخلصـاً بجمال وإلا فاصمت ، لأن في جوارنا رجلاً يحتضر .

من يـدري اذا لم تكـن الجنازة بـين النـاس عرساً بـين الملائكة .

تستطيع الحقيقة المنسية ان تموت وتترك في وصيتها سبعة آلاف حقيقة لتنفق في جنازتها وبناء قبرها .

نحن نتكلم لنخاطب ذواتنا فقط ، ولكن كثيراً ما نرفع أصواتنا أكثر مما ينبغي فيسمعنا الآخرون .

الواضح هو ذلك الذي لا يراه احد إلا وعـبر عنه بمـلء البساطة .

لو لم تكن المجرة في اعمـاقي فكيف كان يمكن أن أراهـا أو اعرفها .

اذا لم إصر طبيباً بين الاطباء فلا يصدقون انني منجم .

ليس اللؤلؤ سوى رأي البحر في الصدف ،
وليس الماس سوى رأي الزمن في الفحم .

الشهرة شبح الهوى الواقف في النور .

الجذر زهرة تحتقر الشهرة .

لا دين ولا علم بدون الجمال .

لم اعـرف رجـلاً عظيماً لم يكن في الاساس الذي وضـع عليه صرح عظمته بعض الاشياء الصغيرة ، وهـذه الصغيرات بعينها هي التي حالت بين جميع العظماء وبين الخمول والجنون والانتحار .

انما الرجل العظيم ذلك ألذي لا يسود ولا يساد .

لم يعمل البشر إلا بمقتضى قول القائـــل : « خير الأمور الوسط » ، ولذلك تراهم يقتلون المجرمين والأنبياء .

المتساهل مريض يحب داء الادعاء .

ربما كان عدم الاتفاق أقصر مسافة بين فكرين .

أنا اللهيب وأنا الهشيم اليابس ، وبعضي يأكل بعضي. فهلا حولت وجهك عني لكي لا يعميك دخاني ؟

جميعنا نسعى إلى قنة الجبل المقدس ، فاذا اعتبرنا الماضي خريطة أفلا تكون طريقنا أقصر مما إذا اتخذناه دليلا ؟

لا تكون الحكمة حكمة إذا ترفعت عن البكاء وتكبرت على الضحك ، وتلهت بنفسها فلم تنشد نفس غيرها .

إذا اكتفيت بكل ما تعرفه أنت فأين أضع الذي لا تعرفه؟

قد تعلمت الصمت من الثرثار ، والتساهل من المتعصب ،

والأغرب من كل هذا انني لا أعترف جميل هؤلاء المعلمين .

المتعصب بالعين خطيب بالغ الصمم .

سكوت الحسود كثير الضوضاء .

إذا بلغت إلى غاية ما يجب أن تعرفه ، فأنت على عتبة ما يجب أن تشعر به .

المبالغة حقيقة لا تملك طباعها .

إذا كنت لا ترى إلا ما يظهره النور ولا تسمع إلا ما تعلنه الأصوات ، فأنت بالحقيقة لا ترى ولا تسمع .

الحقيقة لا تتجزأ .

لا تستطيع أن تضحك وتكون قاسياً في وقت واحد .

أقرب الناس إلى قلبي ملك لا مملكة له ، وفقير لا يعرف كيف يتسول .

الفشل في حيائه خير من النجاح في ادعائه .

احفر أين شئت في الأرض تجد كنزاً ؛ ولكن عليك أن تحفر بإيمان الفلاح .

قال ثعلب يطارده عشرون صياداً على خيولهم المطهمة وأمام كل صياد كلبه النبيه : سيقتلونني ولا شك . ولكن ما أحمقهم وما أبلدهم . فإنني لا أعتقد أن عشرين ثعلباً تحمق بهذا المقدار حتى انها تركب عشرين حماراً وتصحب معها عشرين ذئباً لتفترس رجلاً واحداً » .

فكر الانسان ، دون روحه ، يخضع للشرائع التي يسنها الانسان .

إنني سائح وملاح في وقت واحد ، وفي كل صباح أكتشف قارة جديدة في نفسي .

قالت امرأة : « كيف لا تكون الحرب مقدسة وقد مات فيها ابني ؟» .

قلت مرة للحياة : « اود لو اسمع الموت متكلماً » .

فرفعت الحياة صوتها قليلاً وقالت لي : «انك تسمعه الآن»

اذا فرغت من حل جميع اسرار الحياة تتوق الى الموت لأنه سر من اسرار الحياة .

الولادة والموت مظهران من انبل مظاهر الشجاعة .

يا صاحبي ، انني سأظل واياك غريبين عن الحياة .

غريبين احدنا عن الآخر وكل عن نفسه .

الى اليوم الذي تتكلم فيه فأصغي اليك حاسبا صوتك صوتي وأقف امامك كأنني أقف امام مرآة .

يقولون لي : « لو عرفت نفسك لعرفت جميع الناس » .

فأقول لهم : «ولن اعرف نفسي حتى اعرف جميع الناس»

انت اثنان، واحد متيقظ في الظلمة والثاني غافل في النور

الناسك الحق هو ذلك الذي يهجر عالم الذرات . ويتمتع بعالم الكليات الغير متجزئة .

بين العالم والشاعر مرج اخضر ، فاذا احتازه العالم صار حكيماً واذا اجتازه الشاعر صار نبيا .

رايت في مساء الامس فلاسفة يحملون رؤوسهم في سلاسل ويطوفون في ساحات المدينة وهم ينادون بأعلى الصوت

« الحكمة ! الحكمة للبيع ! »

مساكين الفلاسفة ! فهم يبيعون رؤوسهم ليطيعوا قلوبهم.

قال فيلسوف لكناس الشوارع : « انني أشفق عليك لأن عملك مضنك قذر » .

فأجاب كناس الشوارع وقال : « اشكرك يا سيدي ، ولكن قل لي ما هو عملك ؟ »

فأجاب الفيلسوف متبجحاً : « انني ادرس اخلاق الناس وطبائعهم ، وأبحث في اعمالهم ومنازعهم » .

فضحك كناس الشوارع وسار في عمله قائلاً للفيلسوف « يا مسكين ! يا مسكين ! » .

ليس من يصغي للحق بأصغر ممن ينطق بالحق .

ما من رجل يستطيع أن يفصل بين الضروري وغير الضروري من الحاجات . لأن هذا العمل من ميزات الملائكة ، والملائكة حكماء أذكياء .

ومن يدري إذا لم تكن الملائكة أفكارنا الفضلى في الفضاء؟

إنما الأمير كل الأمير ذلك الذي يجد عرشه في قلوب الدراويش .

الجود أن تعطي أكثر مما تستطيع ، والإباء ان تأخذ أقل مما تحتاج إليه .

لست مديناً بشيء لانسان عند التحقيق ، ولكنك مدين بكل شيء لجميع الناس .

جميع الذين عاشوا في الماضي يعيشون معنا اليوم ، أفهل

بيننا من لا يريد أن يكون مضيفاً مضيافاً .

كثير الرغبات طويل الحياة .

يقولون لي : « عصفور في اليد ولا عشرة على الشجرة » . أما أنا فأقول لهم : « ان عصفوراً واحداً على الشجرة خير من عشرة في اليد » .

في الوجود عنصران لا ثالث لهما ، وهما الجمال والحق ، الجمال في قلوب المحبين ، والحق في سواعد الذين يحرثون الأرض .

الجمال العظيم يأسرني . ولكن الجمال الأعظم يحررني من أسر ذاته .

يشرق الجمال أكثر لمعانا في قلب المشتاق اليه مما في عيني الذي يراه .

انني أعجب بالرجل الذي يظهر لي فكره ، وأمجد الرجل الذي يحسر القناع عن أحلامه ، ولكن لماذا أنا خجول حيي أمام الذي يخدمني .

كان الموهوب في الماضي يفاخر بخدمة الملوك .

أما اليوم فإنه يدعي خدمة المساكين .

تعرف الملائكة ان كثيرين من الرجال العمليين يأكلون خبزهم بعرق جبهة الخيالي الكثير الأحلام .

الذكاء في الغالب قناع إذا قدرت على تمزيقه رأيت إما عبقرية ثائرة أو حذاقة ماكرة .

الفهيم ينسب إلي الفهم، والبليد ينسبني إلى البلادة . ويلوح

لي إنهما كلاهما مصيبان .

لا يدرك أسرار قلوبنا إلا من امتلأت قلوبهم بالأسرار .

ان الذي يشاركك في ملذاتك دون آلامك سيخسر المفتاح لواحدة من سبع بوابات الجنة .

أجل ، ان النيرفانا[1] موجودة ، وهي تقوم بقيادة خرافك إلى المراعي الخضراء ، ووضع طفلك في سريره لينام، وكتابة السطر الأخير من قصيدتك .

نحن نختار أفراحنا وأحزاننا قبل أن تحل بنا بزمن طويل.

الكآبة جدار بين بساتين .

إذا تعاظم حزنك أو فرحك صغرت الدنيا في عينيك .

الرغبة نصف الحياة ، أما عدم الإكتراث فنصف الموت .

أمرّ ما في أحزان يومنا ذكرى أفراح أمسنا .

يقولون لي : « يجب أن تختار بين ملذات هذا العالم وسلام العالم الثاني » .

فأقول لهم : « قد اخترت أفراح هذا العالم وسلام العالم الثاني معاً . فانني أعرف في قلبي أن الشاعر الأعظم لم يكتب سوى قصيدة واحدة وهي تامة الوزن تامة القوافي » .

الإيمان واحة مخضلة الجوانب في صحراء القلب لا تبلغ اليها قوافل الفكر .

---

(١) النيرفانا في اعتقاد البوذيين انقطاع الوجود الشخصي وبلوغ النفس إلى وحدة الكمال العامة .

إذا بلغت إلى ملء رفعتك فأنت لا ترغب إلا في الرغبة ، ولا تجوع إلا للجوع ولا تعطش إلا للعطش الأعظم .

إذا بحت بأسرارك للريح فلا تلومن الريح إذا باحت بها للأشجار .

إن أزهار الربيع هي أحلام الشتاء تقرب على مائـــدة الملائكة عند الصباح .

السلاحف أكثر خبرة بالطرق من الأرانب .

أليس من الغريب أن المخلوقات التي بدون سلسلة فقرية تعيش في صدف آمن من ذوات الفقرات ؟ .

أكثر الناس كلاماً أقلهم ذكاء ، وبين الخطيب والدلال بون شاسع .

كن شكوراً لأنك لست مرغماً إلى الحياة بصيت أبيك أو مال عمك .

ولكن كن شكوراً أكثر من هـــذا إذا لم يكن لك من يعيش بصيتك أو بثروتك .

إذا أخطأ المشعوذ في القبض على كرته جاءني مستغيثاً مسترحماً .

يمدحني الحسود وهو لا يعلم .

كنت حلماً في نوم أمك العميق زمناً طويلاً وعندما أفاقت من نومها ولدتك .

إن خميرة الجنس كائنة في حنين أمك .

شاق أبي وأمي ولداً فولداني . وشاقني أن يكون لي أب

وأم فولدت البحر والليل .

بعض أبنائنا كالأعذار وبعضهم كالذنوب .

إذا جاء الليل وكنت مظلماً مثله ، فاذهب إلى فراشك وكن مظلماً باختيارك .

وإذا جاء الصباح وأنت لا تزال مظلماً فانهض وقل للنهار بارادتك الكاملة ، انني ما برحت مظلماً .

فان من البلادة أن تقف في وجه الليل والنهار فهما يضحكان منك لو فعلت .

ليس الجبل المقنع بالضباب تلة ، وليست السنديانة تحت المطر بالصفصافة الباكية .

اليك هذه الاحجية : ان العميق والعالي هما أقرب أحدهما إلى الآخر من المتوسط لاحدهما .

عندما وقفت أمام مرآة نقية ، تأملت فيّ ملياً فرأيت صورتك ثم قلت لي : « إنني أحبك » .

ولكن بالحقيقة أحببت ذاتك فيّ .

إذا تلذذت بمحبة قريبك زالت فضيلتك من محبتك .

المحبة التي لا تنبع في كل يوم تموت في كل يوم .

لا تستطيع ان تملك الشباب ومعرفة الشباب في الوقت الواحد .

لأن الشباب تلهيه المعيشة عن المعرفة ، والمعرفة يلهيها البحث عن ذاتها عن المعيشة .

قد تنظر من نافذة منزلك فترى بين عابري الطريق راهبة تسير إلى يمينك وموسماً تسير إلى يسارك .

وفي سذاجتك وطهارة قلبك تقول لذاتك « ما أنبل هذه وما أقبح تلك ! »

ولكنك لو أغمضت عينيك وأصغيت هنيهـــة لسمعت صوتاً يتردد في الأثير قائلا بلسانك: « إن الواحدة تنشدني بالصلاة والثانية بالألم . وفي روح كل منهما مظلة لروحي ».

مرة في كل ماية سنة يلتقي يسوع الناصري بيسوع النصارى في حديقة بين جبال لبنان ، فيتحدثان طويلا وفي كل مرة ينصرف يسوع الناصري وهو يقول ليسوع النصارى : « أخشى يا صاحبي أننا لن نتفق أبداً أبداً » .

ليشبع الرب المتخمين !

للرجل العظيم قلبان ، قلب يتألم وقلب يتأمل .

إذا كذب الأنسان كذبة لا يؤذيك ولا يؤذي أحداً سواك ، فلماذا لا تقول في قلبك أن بيت حقائقه لا يسع خياله لذلك يتركه إلى فضاء أرحب ؟

وراء كل باب موصد سر مختوم بسبعة أختام .

الأنتظار سنابك الزمن .

ماذا يهمك إذا كان الهم نافذة جديدة في الجدار الشرقي لبيتـــك .

قـد تنسى الذي ضحكت معه ، ولكنك لا تنسى الذي بكيت معه .

لا شك أن في الملح قوة مقدسة عجيبة . فهو في دموعنا وفي البحر .

إن الهناء في عطشه المبارك سيشربنا جميعاً : قطرة الندى والدمعة معاً .

ما أنت إلا ذرة ذاتك الجبارة ، فم ينشد خبزاً ، ويد عمياء تمسك قدحاً لفم عطشان .

إذا ارتفعت عن التعصب لجنسك أو بلادك أو ذاتك ذراعاً واحداً صرت بالحقيقة مثل ربك .

لو كنت في موضعك لما انحيت باللائمة على البحر في وقت الجزر .

السفينة جديدة والربان ماهر ، ولكن التشويش في معدتك أنت .

إن ما نتوق اليه ونعجز عن الحصول عليه هو أحب على قلوبنا مما قد حصلنا عليه .

لو جلست على السحابة لما رأيت الحد الفاصل بين بلاد وبلاد ولا الحجر الفاصل بين حقل وحقل .

ولكن يا للأسف ! أنك لا تستطيع أن تجلس على السحابة

من سبعة قرون طارت سبع حمامات بيضاء من واد عميق ، وحلقت قاصدة قمة جبل عال تغطيه الثلوج ، فقال أحد الرجال السبعة الذين كانوا يراقبون الطيران : « انني أرى نقطة سوداء على جناح الحمامة السابعة » .

واليوم يتحدث الناس في ذلك الوادي بسبب حمامات سوداء طارت في قديم الزمان الى قنة الجبل المغطاة بالثلوج .

جمعت كل احزاني في الخريف ودفنتها في بستاني .

وعندما رجع نيسان وجاء الصيف ليتزوج الأرض، نبتت في بستاني أزهار بالغة الجمال تختلف عن جميع الأزهار الأخرى.

فجاء جيراني لكي ينظروا أزهار بستاني ، وقالوا لي جميعهم : « إذا جاء الخريف وجاء معه وقت البذار أفلا تعطينا من بذار هذه الزهور لكي نزرعها في بساتيننا » ؟

التعاسة في أن أمد يدي فارغة للناس فلا يضع فيها أحد شيئاً .

أما القنوط ففي أن أمدها ملآنة فلا يأخذ الناس منها شيئاً .

أتوق إلى الأبدية لأنني سأجتمع فيها بقصائدي غير المنظومة وصوري غير المرسومة .

الفن خطوة تخطوها الطبيعة نحو الأبدية .

عمل الفن ضباب مسكوب صورة .

ان الأيدي التي تصنع أكاليل الشوك هي أفضل من الأيدي الكسولة .

إن أقدس دموعنا ، لما تعرف الطريق إلى مآقينا .

كل انسان هو ابن لكل ملك ولكل عبد عاش قبله في العالم .

لو ان جد يسوع عرف ما كان مستتراً فيه أفما كان يقف وقفة الخشية والخشوع امام نفسه ؟

هل كانت محبة أم يهوذا لابنها اقل من محبة مريم ليسوع ؟

لأخينا يسوع ثلاث عجائب لم تكتب بعد في الكتاب ، الأولى انه كان انساناً مثلي ومثلك ، والثانية انه كان ذا كياسة وظرف ، والثالثة معرفته أنه غالب مع أنه غُلب

ايها المصلوب ، انك مصلوب على قلبي والمسامير التي ثقبت يديك تخترق جدران قلبي .

وغداً عندما يمر غريب بهذه الجلجلة لن يقول دم اثنين نازف هنا ، بل يظنه دم واحد فقط .

لعلك سمعت بالجبل المبارك ، فهو أعلى جبل في العالم ، فلو بلغت قمته لم يكن لديك سوى أمنية واحدة وهي ان تهبط نازلاً وتقيم مع النازلين في أعمق واد .

ولذلك دعي الجبل المبارك .

كل فكر حبسته عن الظهور بالكلام يجب ان اطلقه بالأعمال .

تم كتاب

« رمل وزبد »

الموسيقى

•

جلست بقرب من احبتها نفسي اسمع حديثها . أصغيت ولم أنبس ببنت شفة ، فشعرت أن في صوتها قوة اهتز لهــا قلبي اهتزازات كهربائيــة فصلت ذاتي عن ذاتي ، فطارت نفسي سابحة في فضاء لا حد له ولا مدى ، ترى الكون حلماً والجسد سجناً ضيقاً .

سحر عجيب مازج صـوت حبيبتي وفعل بمشاعري ما فعل وأنا لاه عن كلامها بما أغناني عن الكلام .

هي الموسيقى أيها الناس ، سمعتها إذ تنهدت حبيبتي بُعيد بعض الكلمات وابتسمت في بعضها . سمعتها لما حكت تارة بألفاظ متقطعة وآونة بجمل متواصلة وأخرى بكلمات ابقت نصفها بين شفتيها .

تأثيرات قلب حبيبتي ، رأيتهــا بعين سمعي فأشغلتني عن جوهر حديثها بجواهر عواطفها المتجسمة بموسيقى هي صوت النفس .

بلى ، فالموسيقى هي لغة النفوس ، والألحان نسيمات لطيفة تهز أوتار العواطف . هي أنامــل رقيقة تطرق باب المشاعر وتنبه الذاكرة، فتنشر هذه ما طوته الليالي من حوادث أثرت فيها بماض عبر .

هي نغمات رقيقة تستحضر ، على صفحات المخيلة ، ذكرى ساعات الأسى والحزن إذا كانت محزنة ، أو ذكرى أويقات الصفاء والأفراح إذا كانت مفرحة .

هي مجموع أصوات محزنة تسمعها فتستوقفك وتملأ أضلعك لوعة وتمثل لك الشقاء كالأشباح .

هي تأليف أنغام مفرحة ، تعيها فتأخــذ بمجامع قلبك فيرقص بين أضلعك فرحاً وتيهاً .

هي رنة وتر تدخل سامعتك محمولة بتموجات الأثير ، فقد تخرج من عينيك دمعة محرقة أثارتها لوعة نأي حبيب ، أو آلام كلوم خرقها ناب الدهر . وربما خرجت من بين شفتيك ابتسامة كانت في الحق ، عنوان السعادة والرخاء .

هي جسم من الحشاشة، له روح من النفس وعقل من القلب.

وجد الانسان فأوحيت اليه الموسيقى من العلاء لغة، ليست كاللغات، تحكي ما يكنه القلب للقلب، فهي حديث القلوب. وهي كالحب عم تأثيرها الناس، فترنم بها البرابرة في الصحراء، وهزت أعطاف الملوك في الصروح. مزجتها الثكلى مع نوحها، فكانت ندباً يفتت قلب الجماد. وبثها الجذلان مع أفراحه فكانت إنشاداً يطرب مغلوب الأرزاء، فقد حاكت الشمس، إذ أحيت بأشعتها جميع زهور الحقول.

الموسيقى كالمصباح؛ تطرد ظلمة النفس، وتنير القلب، فتظهر أعماقه. والألحان، في قضائي، أشباح الذات الحقيقية أو أخيلة المشاعر الحية. والنفس كالمرآة المنتصبة تجاه حوادث الوجود وفواعله تنعكس عليها رسوم تلك الأخيلة.

النفس زهرة لينة في مهب ريح التقادير، نسمات الصباح تهزها وقطرات الندى تلوي عنقها. كذا تغريدة عصفور، تنبه الانسان من غفلته، فيصغي، ويشعر، ويمجد معه الحكمة، مبدعة نغمة الطائر العذبة وشعوره الرقيق، وتهيج تلك التغريدة قوى فكرته، فيسأل ذاته وما يحف به، عمّا أمرّه لحن ذلك الطائر الحقير فحرّك أوتار عواطفه وأوحى إليه معاني ما حوتها كتب الأولى تقدموه. يسأل مستفهماً عما اذا كان العصفور يناجي زهور الحقل أم يحاكي

أغصان الأشجار أم يقلد خرير مجاري المياه أم ينادم الطبيعة بأسرها ، ولكنه لا يستطيع الى الحصول على الجواب سبيلا.

الانسان لا يدري مـــا يقوله العصفور فوق أطراف الأغصان ، ولا الجداول على الحصباء ، ولا الأمواج إذ تأتي الشاطىء ببطء وهدوء . ولا يفقه مـــا يحكيه المطر إذ يتساقط منهملا على أوراق الأشجار ، أو عندما يطرق بأنامله اللطيفة بلّور نافذته ، ولا يفهم ما يقوله النسيم لزهور الحقل ، ولكنه يشعر أن قلبه يفقه ويفهم مفاد جميع هذه الأصوات فيهتز لها ، تارة بعوامل الطرب ، ويتنهد طوراً بفواعـــل الأسى والكآبة . أصوات تناجيه بلغة خفية ، وضعتها الحكمة قبل كيانه ، فتحدثت نفسه والطبيعة مرات كثيرة وهو واقف معقود اللسان حائراً ، وربما ناب عن لفظه الدمع ، والدمع أفصح مترجم .

أئتِ معي يا صاحِ ، إلى مسرح الذكرى لنرى منزلة الموسيقى عند أمم طوتها الأيام ، وتعالَ نتأمل تأثيرها في كل دور من أدوار ابن آدم .

عبدها الكلدانيون والمصريون كإله عظيم يُسجد له ويمجد . واعتقد الفرس والهنود بكونها روح الله بين البشر . وقال شاعر فارسي ما معناه : « ان الموسيقى كانت حورية في سماء الآلهة تعشقت آدمياً وهبطت نحوه من العلو فغضب

الآلهة إذ عادوا ، وبعثوا وراءها ريحاً شديداً نثرتها في الجو وبعثرتها في زوايا الدنيا ، ولم تمت نفسها قط بل هي حية تقطن ذات البشر . »

وقال حكيم هندي : « إن عذوبة الألحان توطد آمالي بوجود أبدية جميلة »

والموسيقى عند اليونان والرومان كانت إلهاً مقتدراً ، بنوا له هيا كل عظيمة ما برحت تحدثنا بعظمتهم ، ومذابح فخيمة ، قدموا عليها أجمل قرابينهم وأعطر بخورهم ، إلهاً دعوه ابولون فمثلوه ، وجميع الكمالات تجعله منتصباً كالغصن على مجاري المياه ، يحمل القيثارة في يسراه ، ويمينه على الأوتار ، رأسه مرفوع يمثل العظمة ، وعيناه ناظرتان إلى البعيد كأنه يرى أعماق الأشياء .

وقالوا ان رنات أوتار ابولون صدى صوت الطبيعة . رنات شجية ينقلها عن تغريد الطيور وخرير المياه وتنهدات النسيم وحفيف أغصان الأشجار .

وجاء في أساطيرهم ان رنات أوتار اورفيوس الموسيقي حركت قلب الحيوان فاتبعته الضواري ، والنبات ، فمدت نحوه الأزاهر أعناقها ومالت اليه الأغصان ، والجماد ، فتحرك وتفتت .

وقالوا فقد اورفيوس زوجته فبكاها ورثاها نادباً حتى

ملأت نغمة لوعته البرية ، فبكت الطبيعة لبكائه حتى حنت قلوب الآلهة ففتحت له أبواب الأبدية كي يلتقي حبيبته في عالم الأرواح .

وقالوا قتلت بنـــات الأحراج اورفيوس ورمَيْنَ برأسه وقيثارته إلى البحر فطافا على الماء حتى بلغا جزيرة دعاها اليونان جزيرة الأغاني .

وقالوا ان الأمواج التي حملت رأس أورفيوس وقيثـارته ما برحت مذ ذاك الحين تصوغ من أصواتها ندباً مؤثراً وأنغاماً محزنة ، تملأ الأثير فيسمعها الملاحون .

هذا كلام ، بعد أن قضى عز تلك الأمة ومضى ، دعوناه خرافات مصدرها الوهم ، وأحلاماً ابتدعتها التصورات . غير انه قول دل ان تأثير الموسيقى في صدور اليونان كان عميقاً وعظيماً فقالوا ما قالوا عن صحة اعتقاد ، فما ضرنا لو دعونا تلك الأقوال مبالغة شعرية مصدرها رقة العواطف ومحبـــة الجمال . وهذا في عرف الشعراء ، الشعر ؟

نقلت إلينا آثار الاشوريين رسوماً تمثل مواكب الملوك سائرة وآلات الطرب تتقدمهـــا ، وحدثنا مؤرخوهم عن الموسيقى فقالوا انها عنوان المجد في الحفلات ورمز السعادة في الأعياد . أجل ، فالسعادة بدونها تحكي فتاة قطع لسانها . فالموسيقى لسان جميع أمم الأرض ، سبحت معبوداتها بالأناشيد ومجدتها بالألحان ، وكانت التراتيل – وهي الآن

فرض كالصلاة يقدمونها في المعابد ، وكمحرقات يقفونها على القوة المعبودة . محرقات مقدسة مبدأها عواطف النفس . صلوات يهذبها القلب وما أكملته اهتزازات المشاعر . أنفاس حرة ما زلفتها الألفاظ بل تظرّفت بها أنفاس ، أثارتها ندامة الملك داود ، فملأت أناشيده أرض فلسطين وابتدعت أشجانه انغاماً شجية مؤثرة منبعها انفعالات التوبة وحزن النفس ، وكوسيط قامت مزاميره ، بينه وبين الله ، تطلب له مغفرة زلاته ، وكأن رنات قيثارته قد انبثقت من قلبه المنسحق وسرت مع قطرات دمه إلى أصابعه ، فكانت أعمال تلك الأصابع عظيمة عند الله والناس ، وهو القائل : « هللوا للرب ، سبّحوا الرب بصوت البوق ، سبحوه بالمزامير والقيثارة ، سبحوه بالطبل والدفوف ، سبحوه بالاوتار والارغن ، سبحوه بصوت الصنوج ، سبحوه بصنوج التهليل وكل نسمة فلتسبح الرب . » وجاء في الاسفار ان ملائكة من السماء تأتي في آخر الدهر ، نافخة الابواق في جميع اقطار العالم فتستفيق من صوتها الارواح وتلبس اجسامها وتنشر امام الديان . لقد عظم كاتب هذا السفر الموسيقى إذ أنزلها منزلة رسول من الله الى ارواح البشر ، وما قول الكاتب الا صورة مشاعره ، وعلى نوع كلام ينطبق على اعتقادات معاصريه .

وجاء في بدء مأساة ابن البشر ، ان التلامذة سبحوا

قبيل ذهابهم الى بستان الزيتون حيث قبض على معلمهم . وكأني الآن أسمع نغم تلك التسبيحة صادراً من أعماق نفوس حزينة رأت ما سيحل برسول السلام فتنفست عن نغمة مؤثرة نابت عن كلمة الوداع .

تسير الموسيقى امام العساكر ، الى الحرب فتجدد عزيمة حميتهم وتقويهم على الكفاح ، وكالجاذبية تجمع شتاتهم وتؤلف منهم صفوفاً لا تنفرق . ما سارت الشعراء ، امام الكتائب الى ساحات القتال ، موطن المنية ، لا ولا الخطباء ، ما رافقتهم الاقلام والكتب ، بل مشت امامهم الموسيقى كقائد عظيم ، يبث بأجسامهم الواهنة قوة تفوق الوصف ، وحمية تنبه في قلوبهم حب الانتصار فيغالبون الجوع والعطش وتعب المسير ، ويدافعون بكل ما في اجسادهم من القوة ، وراءها يسيرون بفرح وطرب ويتبعون الموت الى ارض العدو المبغوضة ، كذا يستخدم ابن آدم اقدس ما في الكون لتعميم شرور الكون

الموسيقى رفيقة الراعي في وحدته ، وهو ان جلس على صخرة في وسط قطيعه نفخ بشبابته ألحاناً تعرفها نعاجه فترعى الاعشاب آمنة ، والشبابة عند الراعي كصديق عزيز لا تفارق وسطه ، ونديم محبوب تستبدل سكينة الأودية الرهيبة برياض مأهولة ، وتقتل بأنغامها الشجية وحشتها ، وتملأ الهواء أنساً وحلاوة .

الموسيقى تقود اظعان المسافرين وتخفف تأثير التعب وتقصر مديد الطرقات . فالعيس لا تسير في البيداء إلا إذا سمعت صوت الحادي . والقافلة لا تقوم بثقيل الأحمال إلا إذا كانت الأجراس معلقة برقابها . ولا بدع ، فالعقلاء في أيامنا هذه يربون الضواري بالألحان ويدجنونها بأصوات عذبة .

الموسيقى ترافق أرواحنا وتجتاز معنا مراحل الحياة ، تشاطرنا الأرزاء والأفراح وتساهمنا السراء والضراء . وتقوم كالشاهد في أيام مسرتنا وكقريب شفوق في أيام شقائنا .

يأتي المولود من عالم الغيب إلى دنيانا ، فتقابله القابلة والأقارب بأغاني الفرح . متأهلين بأناشيد الابتهاج والحبور ، يحييهم عندما يرى النور بالبكاء والعويل ، فيجيبونه بالتهليل والهتاف ، كأنهم يسابقون بالموسيقى الزمان على افهامه الحكمة الالهية .

وإذا ما بكى الرضيع اقتربت منه والدته وغنت بصوتها الموسيقي المملوء رقة وحنواً فيكف عن البكاء ، ويرتاح لألحان أمه المتجسمة من الشفقة وينام . وفي الحان الوالدة ونغمتها قوة توعز إلى الكرى ليغمض أجفان طفلها ، وتشارك تلك الألحان السكينة بهدؤها فتزيدها حلاوة وتمحو رهبتها وتملأها سحراً من أنفاس الأم الحنون ، حتى يتغلب الطفل الرضيع على الأرق وينام ، وتطير نفسه إلى عالم الأرواح . ولا ينام الطفل إذا تكلمت الوالدة بلسان شيشرون أو قرأت ابن الفارض .

ينتقي الرجل شريكة حياته وتتحد نفسها برباط الزواج متممين وصية كتبتها الحكمة منذ البدء على قلبيهما ، فيجتمع الأقارب والخلان ويفرحون بالأناشيد والأهازيج ويقيمون الموسيقى شاهداً عندما يربط القران عرس المحبة ، فكأني بها يوم التعريس ، صوت رهيب تمازجه الحلاوة ، صوت يمجد الله في مخلوقاته ، صوت ينبه الحياة النائمة لتسير وتنتشر وتملأ وجه الأرض .

وعندما يأتي الموت ، ويمثل آخر مشهد من رواية الحياة ، نسمع الموسيقى المحزنة ونراها تملأ الجو بأشباح الأسى ، في تلك الساعة الموجعة اذ تودّع النفس ساحل هذا العالم الجميل وتسبح في بحر الأبدية ، تاركة هيكلها الهيولي بين أيدي الملحنين والندّابين ، فيتأوهون بنغمات الحزن والأسف ويلحقون تلك المادة الثرى ويشيّعونها بألحان مفادها الضيم وأناشيد معناها الكمد واللوعة . نغمات يحيونها ما بقي التراب فوق التراب ، وان بليت يبقى صداها في خلايا الجوارح ما دام القلب يذكر من مضى .

•

جالست من ميزه الله بعذوبة الصوت وحباه ادراك فلسفة التنغيم والإيقاع فرأيت السامعين حوله مصغين ، صاغرين ، ماسكين أنفاسهم ، محكومين بفواعل السكينة ، شاخصين اليه كالشعراء المستلهمين لقوة فعالة ، توحي اليهم أسراراً غريبة ،

حتى إذا ما انتهى الملحّن من انشاده تنهدوا ذاك التنهُّد الطويل – آه !! – آه !! صادرة من أفئدة هيّجت فيها الألحان عواطف مكنونة فلذّ لها التأوّه . آه ! تتنفسها قلوب حرّى انعشتها الذكرى . آه ! كلمة صغيرة لكنها حديث طويل . آه !! ما قالها سامع كلام الملحّن لا ولا ناظر وجهه ، بل تنهدها من أعار أذناً لنشيد نسج من مقاطع أنفاس متقطعة . أنفاس حية مثلت له فصلاً من رواية حياته الماضية أو فشت سرّاً أكنّته أضلعه .

وكم تأملت وجه سامع حساس فرأيت ملامحه تنقبض تارة وتنبسط طوراً وتتقلب مع تقلبات النغم . واهتديت بخلقه إلى خُلقه واستحكيت باطنه بواسطة ظاهره .

والموسيقى كالشعر والتصوير ، تمثل حالات الانسان المختلفة وترسم أشباح أطوار القلب وتوضح أخيلة ميول النفس وتصوغ ما يجول في الخاطر وتصف أجمل مشتهيات الجسد .

النهاونــد

(النهاوند) يمثل تفريق المحبين ووداع الوطن ويصف آخر نظرة من راحل عزيز . يمثل شكوى آلام مبرحة بين ضلوع قوامها لظى الشوق . النهاوند صوت من أعمـــاق النفس الحزينة . نغم متحسر من مهجور يسأل عطفاً على رمقه قبل أن يضنيه البعاد . زفرات يائس انشأتها المرارة وتنهدات قانط بثتها لوعة من أتلفه الصبر والتجلد. النهاوند يمثل الخريف وتساقط أوراق الأشجار المصفرّة بسكينة وهدوء ، وتلاعب الريح بها وتفريق شملها . النهاوند صلاة والدة نأى ابنها إلى أرض بعيدة فباتت بعده تغالب النوى فيهاجمها بعوامـــل اليأس وتصده بفواعل الصبر والأمل . وفي النهاوند معنى بل معـانٍ وأسرار نفهمها القلب وتفقههـــا النفس . أسرار يحاول بثها اللسان وكشفها القـلم فيجف هذا وتتقطع أوصال ذاك .

الاصفهان

وأصغيت (للاصفهان) فشاهدت ، بعين سمعي ، آخر فصل من حكاية عاشق دنف ، مات حبيبه فتقطعت عرى آماله وتواصلت زفراته فهو ينوح بآخر ما في جسده من الحياة ويرثي ببقايا ما في حياته من الرمق . الأصفهان آخر نفس من منازع واقف ، في مركب الموت ، بين شاطىء الحياة وبحر الابدية . الاصفهـــان رثاء الذات بغصات متقطعة متواصلة وتنهدات عميقة . نغمة صداها سكينة تمازجها مرارة الموت والاسى وحلاوة الدمع والوفاء .

وإن كان النهاوند حنين من يحيا ببعض الامل ، فالاصفهان أنين من انفصمت عرى آماله .

الصبا

نسمع (الصبا) فتستفيق منا قلوب حجبتها لحف الغم وتستيقظ وترقص بين الضلوع . فالصبا نغمة فرح تنسي المرء اتراحه فيطلب الراح ويشربها بلذة غريبة ويستزيد منها كأنه يعلم أن خمرة المسرة تسابقها فتحكم بالعاقلة . الصبا حديث محب مغتبط صارع الدهر وارغم انف البين واسعدته الليالي بخلوة فحظى بلقاء محبوبة جميلة في حقل بعيد ، فأولاه اللقاء فرحاً وابتهاجاً . الصبا كنسيمات الصبا تمر فتهتز لها أزاهر الحقل تيهاً وابتهاجاً .

الرصد

و (الرّصد) في سكينة الليل ، وقع في المشاعر يحاكي تأثير كلمات رسالة جاءت من عزيز غال ، انقطعت أخباره في بلاد بعيدة ، فجاء الكتاب يحيي عاطفة الامل ويعد النفس باللقاء. وكأني بمغني الرصد يخبر بقرب الفجر واندحار الظلام، وقد قيل : « إن جهز ليلك فارصد » .

وفي البعلبكية عتاب رقيق يراوح بين اللوم والتعنيف ، ولحنها مزيج من النهاوند المؤثر والصبا المفرح وفعلها في النفس فعلها .

والآن وقد كتبت هذه الصفحات ، أراني كطفل ينسخ كلمة من نشيد طويل ، غنته الملائكة عندما جبل الله الانسان الأول ، أو كامي يستظهر جملة من كتاب وضعته الحكمة على صفحات المشاعر قبيل ابتداء الدهر .

فيا أيتها الموسيقى ، يا أوتربي المقدسة [١] ، لقد رقصت أخواتك الفنون فيما غبر من الأجيال زمناً ، ووضعن في معاقل النسيان آخر ، وأنت تهزئين بهن ولم تتنازلي عن مسرح النفس

---

(١) أوتربي : عروس آلهة الموسيقى عند قدماء اليونان .

يوماً واحداً ، فكأنك صدى القبلة الأولى التي وضعها آدم على شفتي حواء . صدى له صدى له صدى ، تتمائل وتتناسخ وتكتنف الكل وتحيا بالكل ، يلذ لعمالها عملهم ويفرح الغير الموهوب من مكارمها بسمعه .

يا ابنة النفس والمحبة . يا اناء مرارة الغرام وحلاوته . يا أخيلة القلب البشري . يا ثمرة الحزن وزهرة الفرح . يا رائحة متصاعدة من طاقة زهور المشاعر المضمومة . يا لسان المحبين ومذيعة أسرار العاشقين . يا صائغة الدموع من العواطف المكنونة. يا موحية الشعر ومنظمة عقود الأوزان . يا موحدة الأفكار مع نتف الكلام ومؤلفة المشاعر من مؤثرات الجمال. يا خمرة القلوب الرافعة شاربها إلى أعالي عالم الأخيلة . يا مشجعة الجنود ومطهّرة نفوس العابدين . يا أيتها التموجات الأثيرية الحاملة أشباح النفس ويا بحر الرقة واللطف ، إلى أمواجكِ نسلم أنفسنا ، وفي أعماقك نستودع قلوبنا ، فاحمليها إلى ما وراء المادة وأرينا ما تكنه عوالم الغيب .

تكاثري يا عواطف النفوس وتعاظمي يا مشاعر القلوب وارفعي أيادي ذوي الأيادي لبناء الهياكل لهذه الآلهة العظيمة . وانزل يا ملاك الوحي على قلوب الشعراء واسكب في خلايا قريحتهم مديحاً وتسبيحاً لهذه العظيمة المقدسة . واكبري يا مخيلة الرسامين . النقاشين وابتدعي لها صوراً وأشباحا .

كرموا يا سكان الأرض كهنتها وكاهناتها وعيّدوا لذكر خدّامها وشيدوا لهم التماثيل صلي أيتهـــا الأمم وسلمي على أورفيوس وداود والموصلي ، وعظمي ذكر بيتهوفن وفاغنر وموزار . وغني يا سوريا باسم شاكر الحلبي ، ويا مصر باسم عبده الحمولي . كبّر أيها الكون الالى بثّوا في سمائك أنفسهم وملأوا الهواء أرواحاً لطيفة وعلّموا الإنسان أن يرى بسمعه ويسمع بقلبه آمين .

فهرست

صفحة